حرب فلسطين والنشأة الأخرى للضباط الأحرار

العرب وقرار التقسيم

على إثر صدور قرار هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين أعلنت بريطانيا أنها ستنهي انتدابها على تلك البلاد وحددت لانتهائه يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ وكان مفهوماً ومعروفاً أن الإنجليز متفقون مع اليهود على أن يحلوا محلهم في فلسطين فقَبْل جلائهم عنها استوردوا السلاح والعتاد وأنشئوا معاقلهم وأعدوا قواتهم تحت سمع الإنجليز وبصرهم ، وبمعاونتهم ومساعدتهم ، وقبل جلاء الإنجليز سلموا مدينة حيفا – ثغر فلسطين المهم – لليهود ، وقد اتفقت الدول العربية على أن تدخل فلسطين بجيوشها بمجرد خروج القوات الإنجليزية منها لكي يعيدوها إلى أهلها العرب ويخرجوا منها قوات اليهود على أن سياسة الدول العربية في هذه المسألة الخطيرة كانت خرقاء متخاذلة سايرت إلى حد كبير مقاصد السياسة البريطانية فقد كان واجباً عليها لو كانت جادة في إنقاذ فلسطين أن تمد المجاهدين فيها بالعتاد والسلاح والمال والمتطوعين قبل انتهاء الانتداب البريطاني وعلى الأخص منذ صدور قرار التقسيم من هيئة الأمم المتحدة ، وكان يكفي هذا المدد والعون لكي يحول دون تمكين اليهود من وضع أيدهم على البلاد فإن المجاهدين العرب قد قاوموا الانتداب البريطاني واليهود معا سنين عديدة من قبل فلو أنهم لقوا من الدول العربية العضد والعون دون إعلان الحرب لكان ذلك كافيا لمنع اليهود من إنشاء دولتهم ولكن الدول العربية مسايرة منها للسياسة البريطانية

وإبقاء على صلاتها الودية بها لم تحرك ساكناً حتى انتهى الانتداب البريطاني ، ثم إن الجيوش التي أرسلتها البلاد العربية للحرب مع الأسف كان ينقصها العتاد والسلاح والقيادة الصالحة ، وكان ينقصها أيضاً الحزم وخلوص النية والتعاون الصادق بين الحكومات العربية نفسها فأدى هذا النقص والتخاذل إلى هزيمة هذه الجيوش أمام شراذم اليهود المنظمة المستبسلة في الحرب والقتال . [1]

العرب وإسرائيل وحرب فلسطين

إن العربية هي التي أضاعت ٧٨.٥ % من أرض فلسطين، هل ممكن أن تتخيل – عزيزي القارئ – أن هذه الدول العربية مجتمعة كلها وَضَعَت في ميادين القتال :

أولاً : ما لا يزيد عن ثلاثين ألف جندي على كل الجبهات، في حين أن إسرائيل وضعت ١٠١ ألف جندي ومتطوع .

ثانياً : كان عند إسرائيل على أقل تقدير من ١٢٠: ١٣٥ جنرالاً كانوا موجودين في الحرب العالمية الثانية في الجيش السوفيتي وفي الجيش الأمريكي وفي الجيش الفرنسي وقد اسْتُدْعُوا جميعاً لكي يقودوا المعركة .

ثالثاً : نحن – العرب – لم يكن لدينا فكرة عن الحرب ولم نكن داخلين لكي نحارب. نحن كنا داخلين بالاتفاق مع الدول المسيطرة، إنجلترا بالتحديد، أننا سوف نبقى في حدود قرار التقسيم . فدخلنا ملتزمين حدود التقسيم لم نتجاوزها، لم يتجاوزها منا أحد .

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " الجزء الثالث النهضة المصرية ص ٢٥٣.

obeikandl.com

رابعاً : لمَّا اكتشف اليهود ضعفنا بدءوا يتجاوزون الحدود لدرجة أنهم اخترقوا الحدود المصرية وكادوا يطوِّقون الجيش المصري . [1]

ويقول السادات عن هذه الحرب : " الذين سافروا إلى الحرب سافروا مجردين من أقوى سلاحين يسافر بهما المحارب : المعلومات الحقيقة أو شبه الحقيقية عن العدو، والاطمئنان إلى حسن استعداد الجيش نفسه.

والذين سافروا إلى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئاً مطلقاً عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفونا شيئاً مطلقاً عن جيش مصر نفسه ، ومدى استعداده ، وحقيقة إمكانياته ! ولكنهم سافروا ، سافروا حماسة ، وسافروا ذوداً عن شرف الوطن الذي ادخرهم للذود عنه.

إن ما شعر به الجيش المصري في فلسطين منذ الأسابيع الأولى من حقائق تثبط أي همَّة ، وتقصم أي ظهر . فهناك في أرض المعركة وضح تماماً أن كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له في جيش مصر ، كل ما يلزم من سلاح أو عتاد أو ذخيرة أو مواصلات لا وجود لشيء يصلح للحرب أبداً .

وهناك في المعركة وضح تماماً أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل في تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة في العالم بأسره ، فالجيش يحارب في فلسطين ولكنه يُقاد من القاهرة ، وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الأوامر ، أوامر التحرك والهجوم دون النظر لا إلى أصول الحرب ، ولا إلى مقدرة الجيش نفسه ، أما قيادة الجيش ، القيادة التي لم يكن لها وجود أبداً فلو وجدت ، أو وجد نوع

---

(1) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " أذيع البرنامج في تاريخ ٢٠٠٨/٥/١٥ على قناة الجزيرة الفضائية .

من القيادة الحقيقية لما أمكن أن يهزم جيش مصر أبداً رغم النقص الذي يعانيه في سلاحه وعتاده . " [1]

ويقول محمد نجيب عن الأسلحة التي حارب بها الجنود في حرب فلسطين : "كنا نحارب على قدر استطاعتنا رغم ضعف الأسلحة والمهمات التي تحت أيدينا .. وكانت الدبابات التي نركبها تقف عاجزة عن الحركة لعدم وجود قطع غيار لها ، حتى القنابل التي استوردناها من إيطاليا كانت سيئة الصنع لدرجة أنها كانت تنفجر في وجوه الجنود ، أما البنادق التي اشتريناها من أسبانيا فكان يرجع تاريخ صنعها إلى عام ١٩١٢ م وإذا كان لا بأس بها في التدريبات فإنها لا يمكن أن تقف أمام الأسلحة الأوتوماتيكية : التشيكية ،والأمريكية ، والروسية الصنع التي كانت في أيد الأعداء .

وحدث في عام ١٩٤٩ انفجارات متكررة ، وغامضة دمرت مخازن الذخيرة في تلال المقطم بالقرب من القاهرة هذه الانفجارات أيدت شكوكنا أن الأسلحة التي حاربنا بها في فلسطين كانت فاسدة .

وعرفنا بعد ذلك أن الملك فاروق وحاشيته كانوا على رأس العصابة التي تاجرت في الأسلحة الفاسدة ، كانوا يشترون أنواعاً رديئة من أسواق السلاح بأرخص الأثمان ، ويحاسبون الحكومة على أسعار أعلى ويقبضون الفرق . لذلك فليس عجيباً أن ننهزم في فلسطين ، وأن يحدث لنا ما حدث هناك . " [2]

---

(١) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ٢٠٥– ٢٠٧ بتصرف .

(١) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " المكتب المصري الحديث ط٢ ص ٧٢.

obeikandl.com

أسباب هزيمة العرب في فلسطين

إن الذي ساعد على إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين سوء السياسة العربية تجاه القضية الفلسطينية ، ففي حين استطاع اليهود بكفاءة نادرة استمالة الدول العظمى ومن يدور في فلكها للتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح مطالبهم الظالمة مقابل عجز ممثلو العرب عن كسب أي تعاطف مع قضيتهم العادلة هذا على المستوى الدبلوماسي فإذا جئنا إلى ساحة القتال فإننا نجد أن العصابات اليهودية كانت على أتم استعداد للحرب عدة وعتاداً في مقابل أن الجيوش العربية كانت دون ذلك حتى على مستوى العدد فضلاً عن افتقارها لكل مقومات الانتصار فلا تخطيط محكم ولا تدريب منظم ولا قيادة واعية ، ولا سلاح حديث ، ولا نية صادقة للحكام للقتال إنما دخل الحكام العرب حرب فلسطين ليس بغرض منع إقامة دولة يهودية على الأرض العربية إنما لغرض الدعاية الشخصية ، واستعراض القوة ، وللمزايدة على القوى الوطنية وعلى الحكام العرب كل ذلك ليس من أجل القضية الفلسطينية بل من أجل تقوية مكانتها في بلادها بعدما فشلت في إجلاء الاحتلال ، كما فشلوا في إدارة شئون البلاد بتحسين أحوال الشعوب اقتصادياً واجتماعياً .

ولعل الملك فاروق كان يريد من وراء دخوله الحرب أن يكسب سياسياً خارج البلاد لكي يضفي على نظام حكمه بعض القوة في الداخل وأن يأتي اسمه في تاريخ فلسطين كمنقذ لها وساعياً لإعادة الحق لأصحاب الأرض . [1]

([1]) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٣٣.

obeikandl.com

فقد كانت مصر من الناحية العسكرية حتى ذلك الوقت في موقف ضعيف للغاية ، إذ كانت البعثة العسكرية البريطانية هي التي تتحكم في تسليح الجيش وتدريبه ، وكان دخول المعركة أمرا أشبه بالغامرة . فقد أرادت بريطانيا وبعثتها العسكرية أن تبقي مصر وجيشها في حالة من الضعف . ورغم كل هذه الظروف قامت الحكومة المصرية برئاسة النقراشي باشا بإعلان دخول جيش مصر الحرب في فلسطين وذلك بقرار من الملك دون الرجوع إلى الوزارة أو إلى البرلمان . [1]

يقول محمد نجيب عن حالة الجيش المصري في العهد الملكي : " ظل الجيش المصري تحت قيادة الإنجليز لمدة جيلين حتى عام ١٩٣٦ ، ولم يرغب الإنجليز في إقامة جيش محارب قوي خوفاً من أن ينقلب عليهم في يوم من الأيام ويجبرهم على الرحيل . [2]

إذا كان حال الجيوش العربية بهذا الضعف ، والوحدة العربية بهذا التفكك ، والحكام العرب بهذا العداء والتخوين ، فلماذا أقدم حكام العرب على حرب فلسطين؟

والجواب ببساطة أو بمرارة أن حكام العرب كان غرضهم من دخول الحرب ليس دحر العصابات اليهودية وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني له أنما كان التحاسد والتباغض بين بعضهم البعض هو الغاية المنشودة من هذه الحرب فقد كان " الملك فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله " [٣] فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال

([٢]) نفسه ص ٣٢.

([١]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٧٣ .

([3]) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ١٧ .

obeikandl.com

خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريا كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم . "[1] لذا جاء قرار الملك عبد الله " بإلغاء منظمة الجهاد المقدس الفلسطينية ، وجميع القوى والعصابات التابعة لها ، وإلغاء جيش الإنقاذ المؤلف من المتطوعين ، وطلب إلغاء الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ووضعت خطة محكمة لإبعاد الفلسطينيين من ميدان الجهاد والسياسة ، وعن كل ما يتعلق ببلادهم ومستقبلهم وحياتهم . "[2]لقد جاءت هذه القرارات متسقة مع استراتيجية الملك عبد الله التي " بدت وكأنها تسير في توافق مع ديفيد بن جوريون فما كاد يستأنف القتال وتنهزم قواته في اللد والرملة – أو يسحبها عمداً – في مؤامرة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن "[3] تاركاً القوات المصرية تنهزم وتطرد مما استولت عليه من أراضٍ (النقب).

ورغم ذلك فقد حارب الجيش المصري ببسالة في حدود الإمكانيات المتاحة له حينئذ ، وجاءت الهدنة الأولى ثم الثانية وانسحاب الجيش المصري من الأراضي التي سبق الاستيلاء عليها ، وعادت قوات الجيش المصري إلى القاهرة ، وتم إعداد موكب عسكري ضخم لا لشيء إلا ليعطي انطباعاً طيباً لدى الشعب ، ولكي يدخل في روعه أن نتيجة الحرب لم تكن هزيمة ولكنها عودة للأبطال

([1]) نفسه ص ٢٨ .

([2]) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " مرجع سابق ص ٢٤ ط ٢ .

([3]) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ١٨.

واستعداداً للحل السياسي للمشكلة . وانتهت حرب ١٩٤٨ باتفاقية الهدنة المعروفة .

إن قرار إرسال الملك فاروق الجيش المصري ليحارب في فلسطين كان لإنقاذ عرشه الذي كان يجابه المشاكل الآتية :

١- القضية الوطنية معلقة بعد فشل المفاوضات وفشل اللجوء لمجلس الأمن والسياسة الاستعمارية تعمل على فصل السودان والجماهير لا تغفل لحظة عن مطالبها الجماعية .

٢- التهاب الموقف الداخلي بالمظاهرات وإضراب الطوائف والهيئات المهنية والعمالية في مطالبة جماعية بتحسين الأوضاع الاجتماعية ، وصلت إلى ذروتها بإضراب رجال البوليس .

٣- ضيق الشعب بحكم أحزاب الأقلية التي لا تمثل إرادته مطلقاً .

٤- استحكام الغلاء إلى حد جعل الحياة شديدة الصعوبة بالنسبة للأغلبية الساحقة من الناس .

هذه هي الحالة التي كانت تسود مصر قبل حرب فلسطين مباشرة وهي مليئة بعوامل التفجر التي تهدد قواعد النظام الذي كان يستند إلى ملكية فاحت رائحة تصرفات رجالها إلى الحد الذي أضعف تماماً من مركز الملك ، وأحزاب الأقلية عاجزة عن مجابهة المستعمرين ، الأمر الذي كان يحمل بذور ثورة شعبية .

وهكذا وجدت حكومة النقراشي في دخول الحرب إنقاذاً لها مما عجزت عن مجابهته ، ووجد فيها الملك والاستعمار طوق نجاة يتعلقان به لإنقاذهما من غضب المجتمع المتزايد يوما بعد يوم . " [1]

([1]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٣٢.

obeikandl.com

التقى رفض العرب لمشروع التقسيم ونقص قدراتهم العسكرية مع المخطط الصهيوني التوسعي القائم على استخدام القوة ، وانتهى الأمر بإعلان ديفيد بن جريون قيام دولة إسرائيل مساء ١٤ مايو ١٩٤٨ واعترفت حكومة الولايات المتحدة بها بعد دقائق من إعلانها ووجه ترومان الدعوة لحاييم وايزمان رئيس دولة إسرائيل في اليوم التالي لتعيينه مباشرة ." [1]

الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة

لقد فشل العرب في إقناع الرأي العام العالمي بعدم تقسيم فلسطين في حين نجحت الصهيونية في كسبه ، وكان من الطبيعي أن يأتي تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين ، وليت العرب عرفوا قدرهم ، وأقروا بعجزهم ، وقدَّروا قوة عدوهم واعترفوا بقرار الأمم المتحدة لهان الأمر ولجنبوا أنفسهم ويلات حروب لا نصيب لهم فيها إلا الهزائم النكراء .

ولكن الذي حدث على النقيض من هذا فالحكام العرب أرادوا أن يضيفوا إلى هزيمتهم السياسية هزيمة عسكرية أيضاً تأتي على الأراضي الفلسطينية الباقية!!

فبدلاً من دعم الدول العربية للفلسطينيين وقوات المتطوعين لمنع التقسيم ، أو الإقرار بالأمر الواقع الذي فرضه ضعفهم وقوة عدوهم وتواطؤ القوى العظمى ضدهم بقبولهم لقرار التقسيم بعدما فشلت كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه بدلاً من هذا وذاك ، راح العرب – كما هي عادتهم – يلجئون إلى الخطب الرنانة وإثارة الحماسة الدينية والإقدام على المغامرات غير المحسوبة بغية تصفية حسابات مع بعضهم البعض ، والتنافس على توسيع حدود ممالكهم

---

[1] نفسه ص ١٣٦.

على حساب دولة فلسطين مستترين وراء الدفاع عن المقدسات الدينية والأرض العربية مزايدين في القومية على أعدائهم من القوى السياسية الذين يرون أن الجهاد الحقيقي إنما يكون من أجل جلاء الاحتلال الأجنبي وإقامة الدستور وتطبيق الديمقراطية ، وتوجهوا إلى الجماهير العربية التي سبق أن ساموهم الخسف والعذاب، والفقر والجهل والمرض راح هؤلاء الحكام المستبدون يمالئون الجماهير العربية التي كانت تضج بالحماسة للقضية الفلسطينية وتجعلها في مقدمة اهتمامها وقرروا – دون انتظار موافقة حكوماتهم – تحريك الجيوش إلى فلسطين للقضاء على اليهود في غضون أيام قلائل هكذا أوحى حكام العرب لشعوبهم !

وليت أنهم أعدوا للحرب عدتها بل أرادوها مظاهرة عسكرية ليس إلا فالجيوش العربية " كان تكوينها أصلاً معداً على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار المظهرية فقط "[1] لذا فلا عجب أن يهملوا جمع المعلومات عن قوة العدو الصهيوني ، ليس ذلك فحسب بل إن أعداد القوات التي أرسلوها للقتال لا تتناسب فقط وعدد العرب آنذاك (الذي كان يصل إلى سبعين مليون نسمة ، بالإضافة إلى أربعمائة مليون مسلم في مقابل ستمائة ألف يهودي) بل لا يتناسب مع عدد اليهود المشاركين في المعركة !!

كما نسي هؤلاء الحكام إخطار القيادات العسكرية المشاركة في الحرب إلا في آخر لحظة ، أما عن مقدرة القيادات العسكرية على خوض المعارك ، والتخطيط لها والتنسيق بين الجيوش ، وتدريب الجيوش على القتال وعلى الخطط الحربية فحدث ولا حرج .

([1]) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ١٦.

obeikandi.com

وكان على الجيوش العربية قليلة العدد ضعيفة القيادة عديمة الخبرة والتدريب الحديث ضئيلة التسليح أن تدخل " في مواجهة إسرائيل بصلابتها . كانت الدول العربية تقف في جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام ومتأكدون من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفي جمع المعلومات عن العدو في اللحظات الأخيرة قبل القتال ، ويفسر الباحثون هذا الجهل بالتناقض الحاد في الحساسيات والتقديرات التي تميز مشكلة فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة ولم يجروا استعداداً ولم يضعوا أي خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصاً وخيفة وحتى في أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة كان المصريون يخشون الملك عبد الله أكثر مما يخشون بن جوريون على حد ما يراه أحد الباحثين" [1] وفي الجلسة السرية التي عقدها النقراشي (رئيس الوزراء المصري آنذاك) للرد على استجواب من فؤاد سراج الدين حول الحرب قال " إن نوري السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لأنه "لا يستطيع أن يتحمل متاعبهم ، ولا يود أن يضع رقبته في أيديهم" [2]

إن مواقف المسئولين العرب آنئذ كانت بدون شك حمايةً لكرامتهم وضرورة لبقائهم السياسي ، فبعد أن أثاروا شعوبهم إلى درجة كبيرة من الحماس من أجل المشكلة الفلسطينية ولقَّنوهم تصريحات متوقعة للانتصارات واخفوا عنهم التدهور في الموقف العسكري بقدر ما استطاعوا ، فإنهم لم يستطيعوا عقد سلام دون أن

---

(1) نفسه ص ١٦ .

(2) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٣٣.

يضعوا أنفسهم في موقف حرج لأن السلام يعني – في هذه الحالة – إما تنازل عن معظم فلسطين لليهود بعد حرب حوربت لمنع هذا الظلم ، وإما أن السلام يعني اعتراف المسئولين العرب بالهزيمة وهو ما يمكن أن يعزى إلى سوء إدارة الحرب المزري من جانب الحكومات العربية . [١]

وقد كتب جلوب قائد القوات الأردنية في حرب فلسطين حول هذا الموضوع يقول " لست أعرف على مدى التاريخ عملاً في مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم .. لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية لتعدد السياسات العربية وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك حد أدنى للتنسيق بين هذه السياسات " [٢]

وفي النهاية وطبقا لاتفاقيات الهدنة الدائمة حصلت إسرائيل على النصيب الأكبر وهو ما يصل إلى ٢٠.٩٣٢.٠٢٣ دونم في حين تبقى للعرب ما مساحته ٦.١٠٥.٠٠٠ دونم منها ٥.٧٥٥.٠٠٠ دونم هي مساحة الضفة الغربية ، و ٣٥٠.٠٠٠ دونم مساحة غزة ، وفي حين كان قرار التقسيم يعطي ٤٢.٨٨ % للعرب و ٥٦.٤٧ % لليهود ، أصبحت النسبة بعد الحرب واتفاق الهدنة ٢٢.٦ % للعرب ، و ٧٧.٤ % لليهود.

ولقد قُسِّم الجزء المتبقي من أرض فلسطين بين الملك فاروق ملك مصر ، والملك عبد الله ملك شرق الأردن ، فقد قام الملك عبد الله بضم الضفة الغربية الفلسطينية ، وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية ، وكذلك قام الملك فاروق بوضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية.

---

(١) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " مرجع سابق ص ٢٩ .
(2) نفسه ص ١٧.

كان ذلك خطأً تاريخيّاً قاتلاً ، لم ينتبه إليه العرب ، ذلك لأنه كان الواجب العربي يحتِّم – إذا خلصت النوايا – أن تقام دولة فلسطين على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية ، وقطاع غزة) منذ إعلان الهدنة عام ١٩٤٩، ولا ينتظرون حتى تضيع كل الأراضي الفلسطينية في يونيو ١٩٦٧ ثم ينادون بحكم ذاتي للشعب الفلسطيني على أراضيه المحتلة بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧.

تصور كم عاماً أضاعها الحكام العرب على شعب فلسطين ؟! أربعة وأربعين عاماً (منذ إعلان هدنة رودس ١٩٤٩ إلى اتفاقية أوسلو ١٩٩٣) تغيرت فيها الأمور: قويت إسرائيل وكثر عددها وعتادها واستوطنت الأراضي المحتلة وضعف العرب وكثر اللاجئون الفلسطينيون واستوطنوا البلاد العربية والغربية ، لقد كانت القوى العربية قادرة على إيصال الضفة الغربية مع قطاع غزة بشريط أرض يمكن قيام دولة فلسطينية على الأرض التي كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية ، ولكن عامل الوصاية على الشعب الفلسطيني أخَّر القضية هذه الأعوام الطويلة ، ولو أن الشعب الفلسطيني تمكن من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق ولكان ما يسعى الفلسطينيون للحصول عليه الآن قد تحقق عام ١٩٤٩.[1]

والجدير بالذكر أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) أيدت قرار التقسيم عندما صدر مبررة ذلك بقولها : " إننا لا نريد أن ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ، ولا نوافق على

([1]) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي " إسرائيل إلى زوال " دار الأمين للنشر والتوزيع ص ١٣٧.

التقسيم إلا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر في الدولتين العربية واليهودية ... وجاء في مجلتها الجماهير " إنه إذا كان قد اتخذ قرار التقسيم فإن طريق توحيد الدولتين هو طرد المستعمر " وعلَّق البيان على موقف الحكومات العربية قائلاً إنها تهدف إلى : " وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا المقدسة ضد الاستعمار إلى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار وأنه يرمي إلى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح في سبيل مستوى معيشتها إلى أمر خارجي ينسيها هذا الكفاح . " [١]

وترتب على حرب فلسطين الفاشلة ، والوصاية الظالمة أن نزح أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني إلى الأردن وقطاع غزة وسوريا ولبنان وانتهي بهم الوضع إلى العيش كلاجئين في البلاد التي نزحوا إليها . وهكذا انتهت حرب ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل أو على الأصح بين العرب والعرب ، والعرب والإسرائيليين على أرض فلسطين ! انتهت الحرب وأصبحت إسرائيل من الناحية العملية دولة قائمة على أرض فلسطين وقد عقدت بين إسرائيل وبين الدول العربية هدنة دائمة ، وقد أعلنت أمريكا وإنجلترا وفرنسا أنها تكفل بقاء الحالة في الشرق الأوسط بكل الوسائل المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة وفي غير ميثاق الأمم المتحدة.[٢]

كما اتخذت إسرائيل تجاه الدول العربية منذ إبرام الهدنة سياسة صارمة تقوم على أساس الردع الحاسم والرد العسكري العنيف على أي حادث تافه من قبيل أعمال التسلل عبر خطوط الهدنة .

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٢٩.

(2) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " ج ٣ دار المعارف ص ٤٤ .

ولقد أجبرت السياسةُ الإسرائيليةُ هذه الحكامَ العربَ على مهادنة إسرائيل وعدم التفكير في شن أي هجوم عليها كما أجبرتهم على قمع القوى المنادية بتحرير الأراضي الفلسطينية من العدو الصهيوني أو حتى المطالبة بالإصلاح الداخلي ومقاومة الفساد أو المطالبة بالديمقراطية !!

وبهذا خرجت الجيوش العربية المنظمة من الصراع العربي / الإسرائيلي . فكل الحكام العرب انشغلوا بسياستهم الداخلية عن القضية الفلسطينية ، كما انشغلوا بتوطيد دعائم حكمهم عن محاولة استرداد الحقوق الشرعية لشعب فلسطين !

***

obeikandl.com